بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلـٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله صلَّىٰ الله وسلَّم عليه وعلىٰ آله وصَحْبه أجمعين..

أمَّا بعدُ..

أيّها الإخوة الكرَام..

يوم القيامة هو يوم العرْض علىٰ الله ﷻ، ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾[الكهف:٤٨]، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾[الحاقة]، يوم عظيم وساعة عظيمة يقفها النَّاس بين يدي ربِّ العالمين -جلَّ وعلا-، وهو يوم العرض علىٰ الله، ويوم تطاير الصحف، فآخذ كتابه باليمين وآخذ كتابه بالشِّمال.

وفي القرآن العظيم آيات كثيرة تصف ذلك اليوم كأنَّك تراه وكأنك تُشَاهده، وهو يوم ستَلْقاه لا ريب فيه، ووقوف تقفه لا شكّ في ذلك، فالمسلم علىٰ يقين تام من ذلك الوُقوف بيْن يدي الله والعرْض علىٰ لله ﷻ في يوم القيامة.

ومن الجميل بالمسلم أن لا يغفل عن ذلك اليوم، وأن يكون ذاكرًا له، مستحضرًا للوقوف بين يدي الله ﷻ.

تذكَّر -أيُّها المسلم- عندما يقف النَّاسُ ذلك الموقف فآخذٌ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله، ومن أي الفريقين ستكون: هل ممَّن يأخذ كتابه بيمينه فيفرح فرحًا عظيمًا

وينقلب إلىٰ أهله مسرورًا، أو ممَّن يأخذ كتابه بشماله؟!

وانظر وصف ذلك الذي يأخذ بمجامع القلوب ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ يعلن فرحه بين الخلائق وسروره العظيم ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ مثل النَّاجح في امتحان صعب وامتحان شديد فيُمنح شهادة بتفوُّقه وجدارته، فينطلق إلىٰ أهله في غاية الفرح والسُّرور بذلك النَّجاح؛ بل الأمر يوم الدِّين أعظم وأعظم ﴿إِنِّى ظَنَنتُ﴾ أي: اعتقدتُ، أي كانت هـٰذه حالي في الدُّنيا أنَّني أعتقد بوجود الحساب والعذاب والوقوف بين يدي الله، وكنتُ أُعِدُّ لهـٰذا اليوم عُدَّته. وهـٰذا مكمن الصَّلاح أن يكون المسلم علىٰ ذكر لذلك اليوم وأن لا يغفل عنه، فالغفلة عنه أساس الضَّياع، والذِّكر له أساس الصَّلاح، ولهـٰذا ترىٰ في نصوص الكتاب والسُّنة كثيرًا التَّذكير بذلك اليوم في باب التَّرغيب وفي باب التَّرهيب، تجد نصوصًا كثيرة في باب التَّرغيب تذكِّر باليوم الآخرة، ونصوصًا كثيرة في باب الترهيب تذكر باليوم الآخر، قال: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ فالاعتقاد الجازم والإيمان الرَّاسخ بذلك اليوم وبالوقوف بين يدي الله ﷻ أساس الصلاح، والناس في الإيمان باليوم الآخر علىٰ درجتين:

الأولىٰ: درجة الإيمان الجازم، وهي التي لا يصحّ الإيمان باليوم الآخر إلَّا بها، أن يجزم بوجود ذلك اليوم، وأن يكون متيقِّنًا من الوقوف بين يدي الله عزّ وجلّ.

الثانية: أعلىٰ وأرفع من الأولىٰ، وهي درجة الإيمان الرَّاسخ؛ أي الذي رسخ في القلب وتمكَّن منه، فأصبح العبد علىٰ ذكر دائم لذلك اليوم، كلَّما أراد أن يُقدِم علىٰ ذلك العمل تذكَّر ذلك اليوم فإن كان طاعة جدّ في تتميمها وتكميلها ليفوز بثوابها العظيم يوم القيامة، وإن كانت معصية كفّ عنها ليسلم من مغبَّتها وسوء عاقبتها.

أمّا الغافل عن ذلك اليوم إذا عرضت له لذّة فانية يُقدم عليها ولا يبالي؛ لأنّ ذكر اليوم الآخر ليس حاضرًا في قلبه.

تفنىٰ اللَّذاذة ممن نالَ صَفْوتَها
من الحرام ويبقىٰ الخزيُ والعارُ
تبقىٰ عواقبُ سوء من مغبَّتها
لا خيرَ في لـذّةٍ من بعدها النّارُ

﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ النتيجة والثَّمرة ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ نسأل الله الكريم لنا أجمعين من فضله العظيم ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ أي بما قدمتم في الحياة الدنيا.

إذن تقديم الإنسان في هـٰذه الحياة الدُّنيا للأعمال الصَّالحات ذُخر له يوم القيامة ترتفع به درجاته، وتكون به نجاته، وتتحقّق به سعادته يوم يلقىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والفريق الآخر -وقانا الله أجمعين وحمانا من سبيلهم- يقول الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ

أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ يوم النَّدامة ويوم الخزي ويوم التَّغابن ويوم الفضيحة ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾ يأخذ كتابه بشماله، كتاب فيه الهول، فيه العُقوبة، فيه السَّخط، فيه مقت الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيقول متندِّما متحسِّرا متقطِّعًا حسرات ولا ينفعه ذلك النَّدم: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾ ماذا تفيده هـٰذه الكَلِمَة وأي شيء تنفعه الحسرة والندم ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾ أن يُقضىٰ عليه فيموت.. أماني يتمنَّاها، وهيهات أن ينال شيئًا منها ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾ إن كان ذا مال في هـٰذه الحياة الدّنيا أين ماله يوم القيامة؟! وإن كان ذا ملك وسلطة ورئاسة وزعامة ماذا تغني عنه يوم القيامة؟! ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾ أي لا ينتفع من ذلكم بشيء، وفي ذلك اليوم ينادي ربُّ العَالمين الخلائق بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قرب: «**أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟**» ثم يقول عزَّ وجلَّ: «**وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّىٰ أَقُصَّهُ مِنْهُ ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّىٰ أَقُصَّهُ مِنْهُ حَتَّىٰ اللَّطْمَةُ**»[مسند أحمد (ح١٥٩٨٤)] ثم تذكَّر النَّتيجة ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ السَّبب ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾﴾ إلىٰ آخر هـٰذه الآيات

الكَريمات، فكم هو عظيمٌ بالمؤمن أن يكون علىٰ ذِكرٍ لهـٰذا اليوم.

تذكَّر -أيُّها المُسلم الموفَّق- هـٰذا الوقوف بين يدي الله - عزَّ وجل - وهـٰذا التَّطاير للصُّحف، وأعدّ لذلك اليوم عدَّته، وتذكر أنَّك مسؤول فأعدَّ للسُّؤال جوابًا، وليكن الجواب صوابًا وما التَّوفيق إلَّا بالله وحده.

اللّٰهمَّ وفِّقنا يا حيّ يا قيُّوم يا ذا الجلال والإكرام.

اللّٰهمَّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير والموت راحة لنا من كلِّ شر.

اللّٰهمَّ إنَّا نسألك بأسمائك الحسنىٰ وصفاتك العليا وبأنَّك أنت الله لا إلـٰه إلَّا أنت يا من وسعت كل شيء رحمة وعلمًا أن تجعلنا ممن يؤتون كتابهم باليمين يا حيّ يا قيّوم يا ذا الجَلال والإكرام.

والله أعلم، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله.

يومُ العَرْض

(تأمُّلات في آيات من سورة الحَاقَّة)

كلمة

لفضيلة الشَّيخ الدُّكتور

عبد الرَّزاق بن عبد المحسن البدر

حفظهما الله تعالىٰ

راجعها الشيخ